وراء الحدث

الاستفتاء الدستوري
الرهان على الحرية..!

مالك الله فرج
Malalah_faraj@yahoo.com

*بعيداً عن الموقف المحدد من مشروع الدستور العراقي، وعن تداخلات "النعم" و"اللا" وفلسفة، وحجج، وآراء، وتبريرات أي منهما فقد استطاع العراقيون في الخامس عشر من تشرين الأول الحالي، أن يفجروا مفاجأة ضخمة، هزت الرأي العام العالمي باتجاهين متضادين، وهم يتوجهون بإرادة حقيقية، فاقت كل التوقعات وتجاوزتها إلى صناديق الاقتراع.

❖الاتجاه الأول الذي اهتز بعنف، إكباراً واعتزازاً، بموقف الإرادة الوطنية الضخمة التي عبرت عن نفسها في حرصها على ممارسة ذلك الحق الديمقراطي الذي حرمت منه لأجيال وأجيال، تمثل في الرغبة والحرص من قبل الاسرة الدولية على أن يمارس العراقيون هذا الحق وبسبب التداخلات السياسية والتحديات الأمنية المعروفة، التي شكلت تهديداً حقيقياً مباشراً، فإن ذلك الموقف الدولي الإيجابي المتعاطف مع العراق والداعم للعملية السياسية والمتضامن مع الممارسة الديمقراطية، لم يكن في أفضل حالاته وفي أعلى درجات تفاؤله يتوقع أن يكون مستوى الإقبال على الاستفتاء الدستوري بالشكل والطريقة الحماسية اللذين شهدتهما معظم مدن العراق، من قبل المؤيدين والرافضين معاً!

أحدثت هذه الممارسة الضخمة مفاجأة من النوع الثقيل، عززت ثقة المجتمع الدولي بالإرادة العراقية الحرة، وبإصرار هذا الشعب الحي على ممارسة حقوقه بشجاعة وثقة وإيمان.

❖أما الاتجاه الثاني، الذي هزته المفاجأة العراقية بعنف وقوة، أفقدته ربما توازنه، وجعلته يتوارى وراء إدعاءاته وإيماءاته، ومحاولاته البائسة في التشكيك بوعي العراقيين وشجاعتهم وإيمانهم وحرصهم على ممارسة حقوقهم كاملة، فقد كان الرأي السلبي الذي جمع بين هذه الجهة الدولية أو تلك وبين هذه القوى السياسية أو تلك وبين هذه الفضائية العربية أو تلك حيث وحدت هذه الجهات برغم اختلاف ستراتيجياتها واجندتها الخاصة عن بعضها، وحدت أصواتها بصوت واحد، يشكك في مدى استجابة العراقيين لنداء المواطنة، وبعمق وعيهم السياسي وبحرصهم على المشاركة في العملية السياسية، مؤكدة، فشل الاستفتاء الدستوري قبل أن يبدأ ومراهنة في ذلك على التحدي الأمني الممثل بالتهديدات الإرهابية التي حاولت استنفار كل طاقاتها وجهودها وتوظيف مخططاتها التخريبية لمنع العراقيين من ممارسة حقوقهم الدستورية.

❖ولعل ما أضاف لتلك الحملات العدوانية الخائبة، عمليات التزوير الواسعة التي مارستها بعض الفضائيات العربية بشكل متعمد ومنظم ومقصود للإيحاء للعراقيين، وللرأي العام العربي والعالمي، بعدم شرعية مسودة الدستور، وبالمضامين الخطرة فيه، وهي تتعمد استضافة شخصيات مناوئة من هنا وهناك لتطلق عليهم، ألقاب المحللين الستراتيجيين مرة، والكتاب السياسيين مرة أخرى، إلى جانب تعمدها استضافة بضعة أشخاص تم اختيارهم بعناية، ليتحدثوا عن رفضهم الدستور، ومقاطعتهم الانتخابات، في محاولات غبية ومكشوفة، للإيحاء بأن خمسة أشخاص أو عشرة يمثلون جانباً مهماً من الرأي العام العراقي في حين أن استعادة سريعة لعدد سكان العراق البالغ خمسة وعشرين مليوناً، يمكن أن يفرز أمام أي محلل سياسي محايد، النسبة الحقيقية لعشرة أشخاص من بين خمسة وعشرين مليوناً!

❖لقد كان الأجدر بمثل تلك الفضائيات برهاناتها الخائبة، إن تستضيف على الأقل، أعداداً موازية للرافضين أو المقاطعين من المؤيدين للدستور والحريصين على ممارسة حقهم في عملية الاستفتاء، من أجل أن تضع الرأي العام أمام حقائق موضوعية في حدها الأدنى من جهة، ومن جهة أخرى، وهي الأهم لتؤكد حرصها واحترامها وحفاظها على الحد الأدنى من الأمانة المهنية، إزاء واحد من أبرز الأحداث الدولية وأشدها سخونة!

❖إلى ذلك، لم تكتف تلك القنوات الإعلامية، بمثل ذلك الموقف الأحادي الجانب، المثير للاستغراب والتساؤل حول نزاهة وحيادية وموضوعية تناولها الحدث العراقي، بل عززت ذلك الاتجاه السلبي المقصود، بربط موادها الإعلامية "الموجهة" بخلفيات مقصودة حول (العنف) و"التهديدات الإرهابية" وكأنها كانت تحاول عبر إيحاءاتها أن تسهم في منع العراقيين من ممارسة ذلك الحق الدستوري الذي حرموا منه طويلاً، والذي حرصوا على ممارسته.

❖لذلك كله، جاءت عملية الاستفتاء الشعبي الواسعة على مشروع الدستور العراقي، لتهز كل تلك الجهات والقنوات الإعلامية ومن يقف وراءها بعنف، وهي تنقل للعالم أجمع بالممارسة الفعلية المباشرة، وحدة العراقيين جميعاً، وهم يحولون عملية الاستفتاء إلى عرس حقيقي للديمقراطية.

❖لقد تمازجت بقوة إرادة العراقيين، وهم يصوتون "بنعم" أو "بلا" في ممارسة حقهم الدستوري، وهزموا بإرادتهم كل الرهانات الخائبة التي حاولت المزايدة على حريتهم في اتخاذ القرار، وجاءت حصيلة المشاركة التي فاقت الـ٦٠٪ وفق الإحصاءات الرسمية لتؤكد أن مسيرة الحرية والديمقراطية وممارسة الحقوق العامة والخاصة بعداً آخراً واحترام الرأي الآخر التي بدأت في العراق قبل أكثر من عامين، لا يمكن أن تتوقف بأي حال من الأحوال، وإن وعي العراقيين وإرادتهم الحرة، بل تعاملهم الحضاري مع كل القضايا المصيرية ينطلق من الاحتكام للديمقراطية الحقيقية عبر صناديق الاستفتاء وهم بذلك، هزموا وسوف يهزمون كل الرهانات الخائبة، وكل المخططات الشريرة، وكل التحديات المصيرية وفي مقدمتها تحدي الإرهاب.

❖إن الاعتزاز والمحبة والتقدير العالي والإشادة والاحترام من قبل الأسرة الدولية، ومن قبل التاريخ المعاصر، لكل "نعم" عراقية، ولكل "لا" عراقية لأن لكل منهما، رأيه وموقفه وقضيته، وصوته وإرادته التي يجب أن تحترم، فهي أولاً وأخيراً تعبر عن نظرته الجدية الحقيقية، المخلصة الواعية، لبناء العراق الجديد، على قاعدة التفاعل الديمقراطي والتلاحم الوطني.

❖وسواء أفرزت نتائج الاستفتاء الفعلية رسمياً، فوز المصوتين "بنعم" أو فوز المصوتين على مسودة الدستور بـ"لا" فإن النتيجة الحقيقية الفاصلة تؤشر فوز كل العراقيين الذين ساهموا بالإدلاء بأصواتهم، ذلك لأن الديمقراطية لا تستقيم ولا تنضج ولا تتواصل، إلا بتعدد الأصوات والاتجاهات والمواقف بعيداً عن دكتاتورية الرأي الواحد، والموقف الواحد، والقرار الواحد الذي كما أثبتت كل الوقائع والأحداث التاريخية لا تقود إلا إلى الكارثة.

❖لقد راهن العراقيون على حريتهم، وانتصروا بإرادتهم ليعززوا مسيرتهم الديمقراطية.

أصداء دولية واسعة حول الاستفتاء العراقي

أنان وبوش وبلير وكندا والكويت والبحرين والمغرب يهنئون العراقيين بالإنجاز التاريخي

أحدثت المشاركة الشعبية الواسعة في الاستفتاء على الدستور في العراق أصداء دولية واسعة. وبعد أن تم فرز ملايين الأصوات بات من المنتظر صدور توقعات مبدئية لنتائجه ربما اليوم الثلاثاء. وقد شارك في الاستفتاء الذي مر بسلام بصفة عامة قرابة ٦٠ بالمئة من الـ١٥,٥ مليون ناخب بالعراق.

نسبة المشاركة تجاوزت الـ٦٠٪ والمنظمة الدولية تأمل بأن يكون الاستفتاء فرصة لتخطي مرحلة العنف والتوجه نحو الوحدة

المدى /وكالات

وقد هنأ الرئيس الامريكي جورج بوش الشعب العراقي على المشاركة في الاستفتاء على مسودة الدستور واصفا اياه باليوم الايجابي، على خلفية مؤشرات غير رسمية على اقراره، بينما يتواصل فرز الصناديق.

وفي الوقت الذي تتواصل فيه عملية فرز الاصوات نقلت وكالة انباء اسوشيتيد برس عن سميرة محمد المتحدثة باسم لجنة الانتخابات في الموصل ان اغلبية الناخبين في محافظة نينوى صوتوا لصالح الدستور.

واضافت ان ٣٠٠ الف قالوا نعم بينما صوت ٨٠ الفا فقط بـ لا.

إلا ان وكالة انباء رويترز نقلت عن مسؤول انتخابي قوله إن نتيجة التصويت في محافظة صلاح الدين جاءت بمعارضة ٧٠ في المئة من الناخبين لمشروع الدستور. كما أشارت أنباء أخرى الى ان محافظة الأنبار بدورها رفضت الدستور.

كما نقلت الوكالة عن صالح خليل فراج المسؤول في المفوضية العليا للانتخابات في تكريت، مسقط رأس الرئيس العراقي صدام حسين قوله إن نسبة التصويت بـ لا هي ٧٠ في المئة، وإن حجم الإقبال على التصويت بلغ ٨٠ في المئة".

مشاعر أنان

و هنأ الامين العام للامم المتحدة كوفي انان الشعب العراقي على الاستفتاء على الدستور الجديد وقال ان ذلك يمثل فرصة لتخطي البلاد مرحلة العنف والتوجه نحو الوحدة.

وقال انان في بيان "للمرة الثانية هذه السنة تحدى العراقيون الظروف الصعبة وتهديد العنف ليمارسوا حقهم في التصويت" واصفا الاستفتاء بانه "فرصة مهمة للعراقيين للتعبير عن آرائهم السياسية".

واضاف البيان ان "الامين العام يحيي شجاعة الشعب العراقي ويهنىء اللجنة الانتخابية المستقلة في العراق والاف موظفي ومراقبي الانتخابات في العراق على تنظيم واجراء الاستفتاء في هذه الظروف الصعبة".

واضاف "ايا كانت النتيجة فان الامين العام يعتقد ان هذا الاستفتاء يوفر فرصة لجميع العراقيين لتخطي مرحلة العنف وليتحدوا بروح من المصالحة الوطنية لبناء عراق ديموقراطي وموحد ومزدهر".

واكد البيان ان "الامم المتحدة ستواصل بذل كل ما في وسعها لمساعدة العراقيين على تحقيق هذا الهدف".

تهاني كندية

على صعيد آخر هنأت كندا العراقيين على اجراء الاستفتاء حول الدستور، الذي يشكل "مرحلة مهمة في تطور الديموقراطية في العراق".

وقال وزير الخارجية الكندية بيار بتيغرو في بيان ان "عدد العراقيين الذين ادلوا بأصواتهم يؤكد على روحية الشعب العراقي والتزامه حيال مستقبل العراق"، مشيرا الى ان التصويت اجري "على رغم المحاولات المتكررة التي قام بها المتمردون لحرف عملية الانتقال الديموقراطي عن مسارها".

وخلص البيان الى القول ان كندا ستستمر "في العمل مع العراقيين من اجل تطبيق الدستور واقامة مؤسسات تستجيب للمعايير الدولية على صعيد حقوق الانسان".

تهاني كويتية بحرينية

كما هنأ الكويت والبحرين الشعب العراقي معربين عن الامل في ان تكون المشاركة المسجلة في التصويت مؤشرا لتحسن الوضع في العراق.

وقالت الحكومة الكويتية في بيان في ختام اجتماعها الاسبوعي ان "مجلس الوزراء حيا الشعب العراقي بعد الاستفتاء على دستور البلاد".

واضاف البيان ان الحكومة الكويتية "تأمل في ان يساعد هذا الانجاز العراق على استعادة الامن والاستقرار وان يتيح له استخدام جميع قدراته في اعادة الاعمار والتنمية".

وفي البحرين، اشادت الحكومة ايضا ب "تصويت الشعب العراقي خلال الاستفتاء على مشروع الدستور العراقي الجديد".

واكدت الحكومة البحرينية في بيان ان "مجلس الوزراء يأمل في ان ينعكس نجاح هذا الحدث بطريقة ايجابية على العراق وامنه واستقراره ووحدته وتقدمه وازدهار شعبه الشقيق".

ترحيب تونسي

كذلك رحبت تونس ب"الخطوات الايجابية التي تحققت" باتجاه تبني مسودة الدستور الجديد في العراق وذلك في بيان صادر عن وزارة الخارجية.

وجاء فيه "أن تونس تتابع بكل اهتمام تطورات العملية السياسية الجارية في العراق الشقيق من أجل تركيز أسس الدولة العراقية الحديثة وتسجل ارتياحها للخطوات الايجابية التي تحققت باتجاه اعتماد دستور جديد للبلاد".

واكدت تونس في البيان "دعمها للشعب العراقي الشقيق وتعرب عن أملها في أن تساعد هذه الخطوة على استعادة العراق أمنه واستقراره حتى يتفرغ لإعادة الإعمار وتحقيق التنمية لما فيه خير كافة أفراد الشعب العراقي الشقيق".

ارتياح بريطاني

من جانبه اعلن مقر رئاسة الوزراء البريطانية ان رئيس الوزراء توني بلير ووزيرة الخارجية الاميركية كوندوليزا رايس اعربا عن ارتياحهما للمشاركة العراقية في الاستفتاء على الدستور على اثر مباحثات تناولت ايضا الملف الايراني.

وقال متحدث باسم رئاسة الوزراء ان "نسبة المشاركة في الاستفتاء جعلتهما (رايس وبلير) يبديان ارتياحا وهما ينتظران بفارغ الصبر استكمال العملية السياسية (العراقية) عند اجراء الانتخابات في كانون الاول وما يلي ذلك".

توقعات بالموافقة على الدستور

المدى/وكالات

أظهرت النتائج الاولية ان الناخبين العراقيين ربما يكونون قد وافقوا على دستور جديد.

وأشار الفرز الاولي لنتائج الاستفتاء انقسام الاصوات كما كان متوقعا على نطاق واسع .

ونجحت الاجراءات الامنية المشددة في الخروج بالاستفتاء الى بر الامان بسلام رغم اعلان الجيش الامريكي مقتل خمسة من الجنود وأحد أفراد مشاة البحرية في غرب العراق مما يرفع عدد الجنود الامريكيين الذي قتلوا في العراق الى ١٩٧١ جنديا.

وابلغ هوشيار زيباري وزير الخارجية العراقي شبكة (سي.ان.ان.) التلفزيونية الامريكية "كل المؤشرات التي نتلقاها... مشجعة وايجابية بأن التصويت كان بنعم على هذا الدستور. سيكون هذا بحق انجازا كبيرا. لذا فان تخميني هو نعم سيتم اقراره."

ويتزايد الشعور بالثقة مع ظهور مزيد من النتائج غير الرسمية.

رئيسة فريق مستشاري الأمم المتحدة تؤكد أن التقديرات المبكرة للنتائج مجرد انطباعات

بغداد/العراق (CNN)

أظهرت النتائج الأولية، أن الناخبين العراقيين ربما يكونون قد وافقوا على مسودة الدستور العراقي الجديد، وهي خطوة مهمة في إقامة حكومة ديمقراطية قد تؤدي إلى خروج القوات الأمريكية من العراق.

ورغم الإقبال الكبير على التصويت في بعض المناطق، إلا أن النتائج الجزئية أظهرت أن المعارضين للدستور عجزوا عن حشد الأصوات اللازمة لإسقاطه، وفق ما نقله مسؤولون معنيون بعملية فرز الأصوات لوكالة أسوشيتد برس.

وتستلزم قواعد الاستفتاء تصويت ثلثي الناخبين في ثلاث على الأقل من محافظات العراق الثماني عشرة، بالرفض، ليسقط مشروع الدستور حتى ولو وافق عليه أكثر العراقيين.

ونقلت وكالة رويترز عن حسين هنداوي، رئيس المفوضية العليا للانتخابات قوله إن نسبة الإقبال بوجه عام تراوحت بين ٦٣ و ٦٤ في المئة وأنها يمكن أن تزداد.

وكانت نسبة الإقبال على التصويت في أول انتخابات في عراق ما بعد صدام حسين نحو ٥٨ في المائة.

وشددت سيرينا بيريللي التي تقود فريقا من مستشاري الأمم المتحدة الذين يعملون مع المسؤولين العراقيين على أن النتائج النهائية للاستفتاء مازال أمامها أيام حتى تعلن رسميا، وأن أي تقديرات مبكرة هي مجرد "انطباعات".

وإذا ما تم إقرار الدستور فسيتوجه العراقيون للانتخابات في كانون الأول لانتخاب برلمان، جديد فترة ولايته أربع سنوات، في خطوة تقول واشنطن إنها ستتوج تأسيس ديمقراطية ذات سيادة ونشوء حليف جديد للغرب.

وأعلن الرئيس العراقي جلال الطالباني أن الانتخابات سواء كانت لاختيار برلمان ولايته أربع سنوات، أو برلمان مؤقت جديد، لابد أن تجرى في ١٥ كانون الأول، وهو آخر يوم ممكن لإجرائها طبقا لبنود الدستور المؤقت.

وإذا أسقط الدستور فستعود الفصائل إلى منصة النقاش من جديد.

الاستفتاء الدستوري محطة حاسمة في تاريخ الشرق الأوسط

واشنطن / اف ب

عبر مسؤولون اميركيون عن ارتياحهم للاستفتاء الذي جرى السبت في العراق حول الدستور معتبرين انه "ضربة للارهابيين"، بعد ان شاركت نسبة عالية من الناخبين المسجلين في الاستفتاء وسط هدوء نسبي.

فقد رأى الرئيس جورج بوش ان "نهاية هذا الاسبوع تشكل محطة حاسمة في تاريخ الشرق الاوسط"، مؤكدا ان "العراقيين يوجهون عبر الادلاء باصواتهم ضربة قاسية للارهابيين ويرسلون للعالم رسالة واضحة مفادها انهم سيقررون مستقبل بلادهم عبر انتخابات سلمية وليس عبر تمرد عنيف".

وقال مسؤول في وزارة الخارجية الاميركية طلب عدم كشف هويته ان "شعب العراق الشجاع تحدى من جديد الارهابيين وبرهن على التزامه بشجاعة بمستقبل حر وديموقراطي".

واضاف ان "يوم السبت كان بكل تاكيد يوما سيئا للارهابيين".

واشار هذا المسؤول ان اكثر من ١٦٪ من الناخبين العراقيين شاركوا في الاستفتاء.

وقد ساهمت الاجراءات الامنية المشددة في تأمين هدوء نسبي خلال الاستفتاء.

ومع ذلك تمكن المتمردون من خطف عشرة عاملين في الانتخابات وقتل ستة اشخاص آخرين.

من جهتها، قالت وزيرة الخارجية الاميركية كوندوليزا رايس ان الاستفتاء الذي شاركت فيه نسبة عالية من الناخبين المسجلين هو "خطوة تاريخية هامة"، واضافت

"تجري الان عملية سياسية يرى معظم العراقيين مستقبلهم فيها".

الا ان واشنطن تنتظر بقلق نتائج الاستفتاء التي يتوقع ان تعلن الثلاثاء لترى ما اذا كان الدستور قد اقر.

وقال ستيفن هادلي مستشار الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي في تعليق في صحيفة "واشنطن بوست" ان "العملية السياسية ستستمر سواء تم اقرار الدستور ام لم يتم لتوسيع المشاركة الى كل مناطق البلاد وعزل اعداء الديموقراطية في البلاد بشكل اكبر".

وربما تكون نتيجة الاستفتاء حاسمة في رسم السياسة الاميركية في العراق في الاشهر المقبلة، اذ ان استطلاعات الرأي الاخيرة كشفت ان غالبية الاميركيين مستاؤون من بقاء القوات الاميركية في العراق.

الا ان بوش ورايس رفضا التحدث عن اي انسحاب للقوات الاميركية وفضلا التركيز على اهمية الاستفتاء بصفته خطوة كبرى الى الامام لاحلال الديموقراطية في العراق ومكافحة الارهاب.

وقال بوش ان "هذا الدستور اتى نتيجة اشهر من النقاشات والتسويات بين ممثلي مختلف المجموعات الاتنية والدينية في العراق. واتحد هؤلاء المسؤولون لصياغة وثيقة تضمن الحريات الاساسية وترسي اسس ديموقراطية دائمة".

واكدت رايس ايضا ان الهدف بالنسبة للعراق هو ان "ينمو باساس من الديموقراطية المستقرة والمزدهرة تكون نواة لشرق اوسط مختلف واداة لمواجهة الارهاب وعقيدة الكره التي يروج لها اشخاص يفجرون قطارات انفاق في لندن ويدمرون مباني باستخدام طائرات في نيويورك وواشنطن".